الخطب المنبرية

فضيلة الشيخ الدكتور
محمد هشام طاهري
حفظه الله

خطبة الجمعة بعنوان

الإصلاح بين الناس

٨ ذو القعدة ١٤٤٢هـ ١٨ - ٦ - ٢٠٢١

خطبة الجمعة

((الإصلاح بين الناس))

٨ ذو القعدة ١٤٤٢هـ ١٨ - ٦ – ٢٠٢١

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام وأكرمنا بالإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمر بالإصلاح بين الناس ونهىٰ عن الإفساد والظلم والبهتان، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث إلىٰ الإنس والجان، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا ما تعاقب الجديدان.

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بطاعة الله وتقواه؛ ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۝٣﴾ [الطلاق: 2-3]

أيها المسلمون:

من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية: حفظ ما يجلب المحبة والتآلف، ونبذ أسباب الخصام والتناحر وفق القواعد الشرعية والأصول المرعية، فلقد حرصت علىٰ ترسيخ دعائم التكاتف والتعاون وصلاح القلوب والأعمال والنيات، ونهت عن كل ما يسبب التفرق والتشرذم وما يثير الخصام والضغائن والخلافات.

وللإصلاح بين الناس في الشريعة فضل عظيم وأجر موفور كريم؛ فينبغي لكل عاقل أن يكون طرفا في الإصلاح ساعياً فيه وأن يكون ممن يلينون فيصلِحون ويصلُحون لأن الإصلاح بين الناس أمر مطلوبٌ شرعا ويؤلف بين القلوب المتنافرة بالإصلاح، ويهدئ من غليان النفوس المتناحرة، ويعيد للمجتمع تماسكه ووحدته، ويحفظ عليه إلفه ومحبته؛ ولهذا عد الشرع الكريم

الإصلاح بين المتخاصمين؛ أفضل من تطوع من الصلاة والصيام، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114] وعن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلىٰ، قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» [أخرجه أبو داود والترمذي وفي رواية ((لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)) [رواه أبو داوود والترمذي وقال: حديث صحيح]، قال النبي ﷺ في حديث ابي هريرة في حديث السُلامة: «تعدل بين الإثنين صدقة» [رواه البخاري ومسلم]. وقال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُٱللَّهُ: (ما خطوة أحب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ من خطوة في إصلاح ذات البين).

معاشر المؤمنين: إن الحقوق ضربان: حق الله تعالىٰ، وحق عباده، فحق الله بين العبد وبين ربه، لا مدخل للصلح فيه كالحدود والزكوات والكفارات، وإنما الصلح في إقامتها، لا في إهمالها ؛ ولهذا لا تقبل الشفاعة في الحدود إذا ما وصلت إلىٰ القضاء والحكام وأما حقوق الآدميين فهي التي تقبل الصلح والإسقاط والمعاوضة والصلح العادل هو الذي أمر الله به ورسوله ﷺ كما قال عز من قائل:﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ [الحجرات: 9]، وعن عمرو بن عوف المزني رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «الصلح جائز بين المسلمين، إلا صلحا حرم حلالا، أو أحل حراما» [أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح].

وقد ندب الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إلىٰ الصلح بين المتنازعين في الدماء وهو أعظم ما يكون فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9]، فما كان أدون من الدماء كان أهون وكان السعي فيه ألزم وندب الزوجين إلىٰ الصلح عند التنازع في حقوقهما، فقال سبحانه:﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 128]، ومعنىٰ قوله ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ أي أن الصلح وإن كان فيه تغاضٍ عن الحقوق خير كله فإن كلمة خير جاءت نكرة في الآية تعم وأصلح النبي ﷺ بين بني عمرو بن عوف فيما وقع بينهم في بعض الأموال؛ كما أخرجه

البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما تنازع كعب بن مالك وابن أبي حدرد في دين علىٰ ابن أبي حدرد، أصلح النبي ﷺ بينهما؛ بأن استوضع من دين كعب النصف، وأمر غريمه بقضاء النصف.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أم كلثوم رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ: ((ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا))

وخير للمتنازعين وخير للمتخاصمين أن يتصالحوا اليوم ويتصافحوا، وأن يسلم بعضهم علىٰ بعض قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ليفتدوا ويتصالحوا؛ فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه» [أخرجه البخاري].

أقول ما قد سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ ولي الصالحين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قدوة الصالحين المصلحين، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله الذي خلقكم، واستعينوا علىٰ طاعته بما رزقكم.

عباد الله: إن الإصلاح في الأرض عامة وبين الناس خاصة لهو رسالة الأنبياء والمرسلين، وهو دأب من سار علىٰ نهجهم واقتفىٰ أثرهم من الصالحين المصلحين، فقد قال ربنا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ:﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ۝١﴾ [الأنفال: 1]، وقد يفعل المرء ما يهواه من عبادةٍ وطاعة ولكن يترك ما لا يهواه وذلك لعصيانه نفسه علىٰ الشرع فليحذر المسلم فالمسلم يكون مذعنً لربه فيما يأمره وكان لزاما علىٰ المسلمين إذا نشب خلاف أو نشأ نزاع بين طرفين منهم- إن بين دولتين أو طائفتين، أو جماعتين أو زوجين أو أي متخاصمين- أن يقوموا بالإصلاح بينهم ويعيدوا القلوب إلىٰ ألفتها والنفوس إلىٰ مودتها؛ مراعاة لحق الرابطة الإيمانية، وقياما بواجب الأخوة الإسلامية، فبالإصلاح تحل الصلة محل القطيعة، وتقوم المحبة مقام الكراهية الشنيعة، قال سبحانه:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ۝١٠﴾ [الحجرات: 10] وفي حديث سهل بن سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن أهل قباء اقتتلوا حتىٰ تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك، فقال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم» [أخرجه البخاري].

وهكذا لا ينبغي لمسلمين متخاصمين أن يبقيا علىٰ خصومتهما بلا إصلاح، وما داما علىٰ حال التقاطع والتنازع فأعمالهما موقوفة عن المغفرة والقبول، وإثم هجرانهما باق عليهما كما أخبر بذلك الرسول ﷺ؛ فقد قال ﷺ: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتىٰ يصطلحا، أنظروا هذين حتىٰ يصطلحا، أنظروا هذين حتىٰ يصطلحا» [أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ].

ولكي تكلل مساعي الإصلاح بين المتخاصمين بالتوفيق والنجاح؛ كان لا بد من سلوك السبل الشرعية والآداب الإسلامية؛ من ابتغاء وجه الله تعالىٰ، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية، وأن يسلك مسلك النجوىٰ والسرية، بعيدا عن إفشاء الأسرار وتسرب الأخبار.

فإن خلصت نية المصلحين، وسلمت طوية المتنازعين وانقادوا للأوامر الربانية ؛ كان التوفيق حليفهم، وسلامة العاقبة رفيقهم،﴿ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: 35] .

فالله الله في إصلاح ذات البين؛ لتحيا الأمة حياة المحبة والتآلف، ولتنأىٰ عن أسباب التخاصم والتخالف، ولنتجنب سخط الله وعقابه، ولننجو من أليم عذابه قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: 117]

واحرصوا – رحمكم الله – علىٰ الأخذ بالنصائح والتوصيات الصحية،

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات؛ والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا قريب سميع مجيب الدعوات، ربنا ارفع عنا البلاء والوباء، والضراء والبأساء، وأدم علينا النعم، وادفع عنا النقم، اللهم وفق أميرنا لما تحب وترضىٰ، وخذ بناصيته للبر والتقوىٰ، اللهم اجعل هذا البلد آمنا رخاء سخاء وسائر بلاد المسلمين اللهم إنا نسألك خير هذه الرياح وخير ما فيها وخير ما أرسلت له ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت له وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله